مجلة العلوم الاجتماعية
المجلد 08 / العـدد: 02 مكرر (الجزء الأول) / جويلية 2019 / ص ص 179 - 205
عدد خاص بالملتقى الوطني الأول: مشروع أسلمة المعرفة، مبرراته وإشكاليات تطبيقه

نحو منهجية للتأصيل الاسلامي لعلم النفس

Towards a methodology of the Islamization of psychology

زينب سحيري [1]
[1] مخبر الصحة النفسية، جامعة الأغواط (الجزائر) ، sehzinairieb@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/06/12 تاريخ القبول: 2019/06/15 تاريخ النشر: 2020/02/08

ملخص:

إنّ المتصفح للتراث الفكري والعالمي في حقل علم النفس يجد اسهامات كبرى للعديد من العلماء المسلمين والعرب كابن سينا والغزالي والفارابي اعتمد الغرب تهميشها واغفالها. وعلى الباحثين المحدثين في حقل علم النفس التذكير بها والتأصيل الاسلامي للمعارف العلمية النفسية التي تأتينا من الغرب دون أن تتوافق مع الشخصية الاسلامية والبيئة الاسلامية وأصولها. وقد حاول العديد من العلماء منهم محمد البدري وعثمان نجاتي تأسيس علم النفس الاسلامي من أجل التأصيل الاسلامي لعلم النفس وفقا لهدي القرآن والسنة النبوية .

فما هي ضرورة التأصيل الاسلامي لعلم النفس؟ و ما المنهج و الآليات المتبعة لذلك؟

كلمات مفتاحية: التأصيل الإسلامي، علم النفس.

Abstract:

The reader of intellectual and global heritage in the field of psychology finds great contributions to many Muslim and Arab scholars such as Ibn Sina, Al-Ghazali and Al-Farabi. The West deliberately marginalizes and neglects them. The role of modern Islamic researchers in the field of psychology is to recall their work and Islamization of the scientific and psychological knowledge that came from the West without being compatible with the Islamic personality and the Islamic environment and its origins. Many scholars, including Muhammad al-Badri and Othman Najati, have tried to establish Islamic psychology for Islamization of psychology according to the guidance of the Qur'an and Sunna.

So, what is the need for Islamization of psychology? And what is the method and mechanisms followed?

Keywords: Islamization, Psychology.

المؤلف المرسل: زينب سحيري، **الإيميل:** sehzinairieb@gmail.com

- مقدمة:

يشهد الكثير بأنّ القرن الحالي هو قرن علم النفس، وقال آخرون أنّ علم النفس هو الدين الجديد للغرب الاوروبي الذي حل م□ل الكنيسة، وعلماؤه أصب□وا بمثابة الكهنة في معابد العلمانية وعبادة الذات. فقد أضاف علماء الغرب الكثير في علم النفس أنارت دروب الباحثين حينما جعلت من السلوك البشري م□لا للدراسة، وفصلت هذا العلم عن الفلسفة معارضة بذلك أفكار كانط، منتهجين في ذلك الملاحظة وتكميمها والتجريب واخضاع السلوك للقياس وللمخابر، لكن معرفتهم ضلت منق□لقها. فهي نتاج واقع معيشتهم ونظرتهم للحياة وفكرهم المادي البرجماتي والعلماني المناهض لكل ما هو ديني كردة فعل لهيمنة الكنيسة. رغم ما نلاحظه في السنين الأخيرة من توجه علماء النفس إلى الاهتمام بالذات البشرية، وانتهاج المنحى الانساني، والرجوع الى الفضائل والدين مثلما فعل مارتن سليجمان في ب□وثه عن علم النفس الايجابي. فمنهم من أخ□أ ومنهم من أصاب.

إنّ قيام الفكر الغربي على مفهوم التنافس والتفوق والنجاح قد أدى إلى ظهور كثير من الدراسات في المجتمع الأمريكي حول الدافع إلى الإنجاز، ومستوى الط□موح، والتنافس، ويلاحظ أيضاً أنّ علماء النفس المحدثين في المجتمعات الغربية، تماشياً مع الاتجاه المادي الذي يغلب على فلسفتهم في الحياة، يهملون أثر الدين والإيمان والنواحي الروحية في الصحة النفسية، ويركزون اهتمامهم في دراسة مؤشرات الصحة النفسية على الكفاءة والفعالية في كثير من أمور الحياة الواقعية اليومية مثل قدرة الفرد على الاستمتاع بعلاقاته الاجتماعية، وقدرته على إشباع حاجاته المادية والدنيوية، ونجاحه في عمله وفي حياته الزوجية وهم يغفلون ما للدين والإيمان بالله تعالى من أهمية في الصحة النفسية للإنسان، وفي التخلص مما يعانيه الإنسان المعاصر في الغرب من ضياع وقلق، مما أدى إلى انتشار الجريمة، والانت□ار، وإدمان المخدرات، والإصابة بالأمراض النفسية والعقلية.

إنّ ثقافة المجتمع وقيمه، وفلسفته في الحياة، وتصوره للإنسان وللكون، ولرسالة الإنسان في الحياة وغايته منها، لا تؤثر فقط في توجيه الدراسات النفسية إلى اختيار موضوعات الب□ث، وإنمّا تؤثر أيضاً في تفسيره لنتائج هذه الدراسات.

فالنزعة المادية التي تسي□ر على الفكر الغربي تظهر بوضوح في تفسير علماء النفس للظواهر السلوكية والنفسية تفسيراً مادياً ب□تاً، بل إن كثيراً من علماء النفس الغربيين يجعلون من دراسة سلوك الحيوان مدخلاً لفهم سلوك الإنسان، مغفلين ما يتميز به الإنسان على الحيوان من قوى روحية تؤثر تأثيراً كبيراً على نواح كثيرة من شخصيته وسلوكه.(م□مد عثمان نجاتي،1989)

و قد أوجز الدكتور طه جابر العلوان نقده للفكر الغربي في سمات سلبية كثيرة أهمها :

1-محدودية مصادر المعرفة:

حيث حصر مصادر المعرفة لديه بالعقل الانساني وحده و بذلك حرم نفسه من مصدر هام جدا من مصادر المعرفة ألا و هو الوحي الإلهي القادر على الاحاطة التامة والمعرفة الشاملة المستغرقة.

2- محدودية وسائل اختباره لمعارفه العقلية:

حيث حصرها بالتجريب وحده، فجعل الكافل الوحيد للصحة المعرفة أو العلم التجربة ، فالتجربة كل شيء.

3-وقوعه في خطيئة القياس مع الفوارق:

فأخضع العلوم السلوكية والانسانية والاجتماعية للمقاييس والمناهج والمعايير التي أخضعت لها العلوم الفيزيائية والتـ ـبيقية.

4- المحدودية والانحصار في النظرة والميدان زمانا ومكانا:

فهو ينـ ـلق من افتراضات مـ ـدودة للإنسان الغربي في ظروفه الزمانية والمكانية لا يتعداها إلى نظرة انسانية عالمية. (طه جابر العلواني، 1990)

وللعلم فإنّ علماء النفس في فرنسا وبريـ ـانيا تذمروا من تأثير علم النفس الامريكي على طلابهم، فقالوا بأنّ امريكا قد هيمنت على هذا التخصص بالأعداد الهائلة للمتخصصين فيه وبما تنفقه على الابـ ـاث النفسية وبكتبها ومـ ـبوعاتها الراقية وافلامها الشيقة . ومن المهم ذكره أنّ علماء النفس الروس والصينيون رفضوا نقل العلوم النفسية الغربية حفاظا على معتقداتهم الماركسية والكاثوليك. وابتدعوا علم نفس لا يتعارض مع فكرهم الديني. لذلك حرصت الدول التي تهتم بتنشئة شبابها على التمسك بقيم حضاراتها على تأسيس علم للنفس يقوم على ركائز قيمها وفكرها أو إعادة صياغة مقررات علم النفس الغربي قبل أن تدرس في الجامعات والمدارس التي تخصها حتى لا تتعارض تلك المقررات التي تـ ـمل بين طياتها قيم الحضارة الغربية ومفهومها للإنسان والكون والحياة مع مبادئها ومعتقداتها.(عبدالله بن ناصر الصبيـ ـ،1999)

فالأولى والاجدر بعلماء النفس المسلمين أن لا يقدموا فكر الحداثة الغربية العلماني مندسا في نظريات علم النفس الغربي وتـ ـبيقاته دون تأصيل أو أسلمة، وألا يصروا على ترديد أفكار قد تخـ ـاها أهلها في الغرب كأن يقولوا أنّ علم النفس علم أصيل يقوم على المشاهدة الدقيقة كغيره من العلوم التجريبية في كل الامور.

فالتأصيل الاسلامي لعلم النفس فرض على كل نفساني مسلم، وإنّ من لا يهتم به فيدرس مادته من الكتب الغربية أو من ترجتمها ويقدمها لـ ـلابه كما هي، فهو آثم ومخـ ـئ في حق نفسه وفي حق من علمهم وقدم لهم هذا العلم دون تأصيل ولا أسلمة.(مالك البدري،2010)

وقد وضع مالك بدري (1995) قاعدتين تحددان الموقف من علم النفس الغربي:

الأولى: كلما كانت المواد التي نأخذها من علم النفس الغربي أكثر اعتماداً على البحث التجريبي الميداني، فإنّها تكون أكثر قبولاً واتساقاً مع الفكر الإسلامي. وفي المقابل كلما كانت المواد أكثر اعتماداً على النظريات (الأريكية)، فإنها تزداد بعداً عن التصورات الإسلامية...

الثانية: أنّه كلما كانت المواد النفسية الحديثة تدرس جانباً محدوداً من السلوك كدراسة الإدراك الحسي أو زمن الرجع أو الذكاء أو تأثير العقاقير العلاجية على السلوك كانت أكثر قبولاً من الناحية الإسلامية، وفي المقابل كلما كانت هذه المواد تهتم بالسلوك الإنساني العام فإنّها تزداد بعداً عن المظلة الإسلامية.(عبدالله بن ناصر الصبيح،2001)

ونحن في مقرراتنا نتبع الغرب في اعتماد تجهيل ناشئتنا بعمل السلف الصالح الذي ربط بين علوم الدين وجعلها في صدارة التعليم لينتقل بعدها لدراسة سائر العلوم. وقد نشأ ذلك عن سلوك3 أصناف من المفكرين العرب نتاج المتأثرين من علماء العرب بالفكر الغربي وتقليده تقليدا أعمى في كل شيء (حتى إن كان ضد معتقداته وقيمه) كصورة جلية لمقولة ابن خلدون : " المغلوب مولع دائما بتقليد الغالب." أو عدم كفاءة واصرار بعض من المفكرين العرب وامتلاكهم السلطة الكافية في اتخاذ القرارات في بناء المناهج وفلسفة التربية في بلدانهم. أمّا الصنف الآخر فهو المصفق لكل كلام تشترى ذمته بأبخص الأثمان.

و قد لخص الدكتور فؤاد أبو حطب واقع العلاقة بين الغرب والعالم الثالث في مجال الدراسات النفسية في مجموعة من النقاط نلخصها فيما يلي:

1- علاقة الاستيراد والتصدير التي تتم من جانب واحد دائماً.

2- الاعتماد المعرفي على الغرب (نظريات ونماذج ومناهج اختبارات ونتائج).

3- قطع الصلة بالتراث الثقافي واعتبار القديم عائقاً عن التقدم.

4- انتشار البدع الثقافية في العلم (معظم التراث الغربي المستورد لم يتم اختباره على ضوء الحاجات القومية والثقافية).

5- كف التفكير الإبداعي وانتشار التكرار في أبحاث الماجستير والدكتوراه لما قاله علماء الغرب، على حساب المشكلات الجوهرية التي تعاني منها البلدان النامية ناهيك عن ظواهر الادعاء والتزوير والسرقة.

6- الاغتراب وفقدان الهوية الثقافية.

7- فقدان الهوية المهنية (الخلط بين الأخصائي النفسي, والأخصائي الاجتماعي, وطبيب الأمراض النفسية). (فؤاد أبو حطب، 1993)

وقد أبدى الدكتور مالك البدري[1] تضمره من أنّ الكثير من أساتذة علم النفس في تلك الفترة لم يستـ يعوا استيعاب فكرة الأسلمة واعتبروها ضربا من العبث بسبب تضخم الأنا والاعتماد الأعمى على الغرب ومجاراته في كل صغيرة وكبيرة حتى أنّهم لو دخلو جحر ضب لدخلوه خلفهم، هذه التجربة الشخصية جعلت منه يجزم بالاعتقاد أنّ البعض من زملاءه الذين رفضوا فكرة أسلمة علم النفس دون أبسط تفكير أو تـ ليل للفكرة هم غربيون في أفكارهم أكثر من الغربيين أنفسهم.

فقد كتب الباحثان الأمريكيان Moghaddad و Harre بـ ثاً بعنوان (هل هو علم بـ ق؟!) أكدا فيه أنّ تدريس علم النفس الغربي في دول العالم الثالث دون تأصيل يعتبر أمراً لا أخلاقياً، كما ذكرا أنّ أمريكا الآن هي (القوة العظمى لعلم النفس) وأنّها تصدِّر للعالم الثالث نظريات وعلوم نفسية مشكوك في صلاحيتها حتى في أمريكا نفسها! وختما بـ ثهما بلفت الأنظار إلى أنّ هذا العمل لا يأتي إلاّ بالتبعية والانهزام أمام الفكر الغربي، كما يعمق من التقاليد التي أرساها الاستعمار الأوربي لتلك البلدان.

إضافة لذلك نقرأ للعالم البريـ اني المشهور آيزنك Eysench وهو يشكو مُرّ الشكوى من أنّ علم النفس الأمريكي الذي سيـ ر على أوربا وبريـ انيا وقد بُني على دراسات أجريت على طلاب الجامعات الأمريكية، وأنّه يجب تأصيله ليناسب البيئات الأوربية! .. فإذا كانت أوربا تدعو للتأصيل مع تشابه حضارتها بالحضارة الأمريكية، فكيف بالمسلمين؟!(مالك البدري في مقدمة لكتاب عبدالله بن ناصر الصبيـ،1999)

وكتب الدكتور مالك البدري بـ ثا باللغة الانجليزية في امريكا بعنوان: "علماء النفس المسلمون في جحر الضب" وقد تفاجئ من تفاعل الحضور مع فكرة البـ ث خاصة من قبل علماء النفس الأمريكيين الذي دخلوا الإسلام حديثا. منهم العالم Dr. John Sullivan الذي يعمل على العلاج النفسي في إطار الأسلمة وله كتاب مميز في هذا المجال بعنوان. (Islamonline,2017) Islamic Counseling

وقد استقى عنوان بـ ثه من حديث للمصـ فى عليه ازكى الصلاة والسلام رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال" لتتبعن سنن من قبلكم شبراً وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن!" رواه البخاري.

[1] مالك البدري هو مؤسس ورئيس الرابطة العالمية لعلماء النفس المسلمين . له عدّة مؤلفات منها:
"أسس الصحة النفسية للطفل المسلم." و أخرى بالإنجليزية" الإسلام وعلم النفس التحليلي"و" الإسلام وإدمان الكحول"

ولعلّ في اتباع الوحي المحمدي (الذي لا ينـ ق عن الهوى) والعقيدة الاسلامية نظرة كاملة شاملة عن النفس البشرية، وما يصلح لها. فالتوجيه الاسلامي للعلوم النفسية يرتكز على أسس متينة تجعل منا نأخذ ما ينفعنا وينفع أمتنا من الدراسات الغربية. ونستغني عن ما ينافي معتقداتنا الاسلامية وتقاليدنا وعاداتنا، ونـ ور علوما نفسية مؤسسة على دراسة الشخصية المسلمة من أجل تكوين جيل ذو شخصية مسلمة. وانتهاج سبل علاجية مؤسسة على قوة الايمان، مؤسسة على آية عظيمة "الَّذِينَ آمَنُوا وَتَـ ـْمَئِنُّ قُلُوبُهم بِذِكْرِ اللَّه أَلَا بِذِكْرِ اللَّه تَـ ـْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ". الأية 28 من الرعد

فبه تـ مئن قلوب المؤمنين. وترتاح النفوس ويسكن الفؤاد وتنجلي الهموم. فبرشده اهتدينا لقيمة الصلاة وصلة الخالق بالمخلوق. بسجدة يذرف فيها دموع التضرع فيغدوا متأملا خيرا فرحا. ومن خلاله تعلمنا فائدة الصبر والتريث وأنّ الحق عادل يكافئك لا مـ الة عن الخير، ويقتص لك ويعوضك لا مـ الة عن الإساءة والشّر. به ندرك أنّ القدر كله خير، وأنّ الرضى والحمد سر سعادة الانسان. به ندرك أنّ ليس هناك لقلب المؤمن من حسرة وندم واحساس بالذنب لأنّك مع رب غفار وغفار لكل الذنوب. ليس هناك قلق موت لدينا مثل الغرب لأنّنا ندرك أنّنا نجد حياة أخرى أفضل نلقى فيها الله ونستبشر فيها برؤية الحبيب مـ مد. إنّنا ندرك أنّ هناك الرحيم بعباده، أنّ الضيق يـ وي في طياته الفرج حينما يقول عزّ و جل "إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً" سورة 6 سورة الشرح.

أمّا كلمة "لا إله إلاّ الله ' فإنّها تـ لق الانسان من عقاله وتـ رره من جميع العبوديات الباطلة وتبشره بالمغفرة وتنجيه من الخوف وتـ فظه من الوساوس... هي شعور مستمر بالإئتناس والصحبة والأمان .. لا هجر ولا غدر ولا ضياع ولا وحدة ولا وحشة وذلك حال " لا إله إلاّ الله" فلن تعود بذلك الدنيا مسرحا للشرور، وإنّما درسا رفيعا من دروس الحكمة." (مصـ فى مـ مود، 1998)

إنّ الناظر لتأريخ علم النفس وخاصة في الكتب الغربية يجد أنّ علماء الغرب تعمدوا تجاهل وإغفال دور المفكرين العرب والمسلمين على العموم. فهم يبتدؤون بإسهامات فلاسفة اليونان لينتقلوا إلى عصر النهضة الأوروبية ليصلوا إلى أعمال المحدثين من علماء النفس في العصر الحالي. ولعلّ هذا التجهيل مقصودا أو نتيجة تقصيرنا في التعريف بالموروث الثقافي الاسلامي من خلال دراسات ممنهجة وعلمية تـ ليلية.

فقد ذكر رئيس مجلس الوزراء الصادق المهدي: أنّه جاء في كتاب الدكتور منتجموري واط " أثر الاسلام في أوربا" : " إنّ أوربا اهتزت لأثر الاسلام، واكتسبت ذاتيتها الحضارية. وأنّها مدينة بالكثير من معارفها العلمية والفلسفية والتقنية للحضارة الاسلامية، وخوفا على ذاتيتها وكيانها رأت أن تستخف بالدور الاسلامي، وأن تبرز بدلا عنه الدور الأوروبي القديم، أي اليوناني والروماني. وإنّنا الآن

بعد أن لم تعد بنا حاجة لتلك المخاوف علينا أن نبرز ذلك العطاء الاسلامي في حضارتنا ونعترف به."(الصادق المهدي، 1990)

إنّ ما أسداه الأطباء والعلماء المسلمون لهذا العلم بلغ من العظمة ما لا يتسع لسرده كتاب، في الوقت الذي كان الجنون يعدّ في أوربا من الأمراض الشيطانية، وفي الوقت الذي كان الأوربيون يقيّدون المجانين بسلاسل، وكانوا يعالجونهم بالضرب عند ارتفاع أصواتهم بالصراخ.

ومن اسهامات المسلمين دون حصرها في العرق العربي (فابن رشد اندلسي و ابن خلدون تونسي و ابن سينا فارسي) نجد ابن سينا قد كتب كتبا درس فيها احوال النفس البشرية مؤسسة على المنهج الاستنباطي العقلي والمنهج الاستقرائي التجريبي، من بينها كتاب " أحوال النفس" و كتاب "الشفاء" .

فقد اكتشف ابن سينا طبيعة عملية الاشراط قبل ايفان بافلوف الروسي. و قد سبق علماء النفس المحدثين بقرون في تفسيره للنسيان على أساس تداخل المعلومات فيقول ابن سينا في هذا الصدد " وأكثر من يكون حافظا هو الذي لا تكثر حركاته. ولا تتفنن هممه، ومن كان كثير الحركات لم يذكر جيدا... ولذلك كان الصبيان مع رطوبتهم يحفظون جيدا، لأنّ نفوسهم غير مشغولة بما تشغل به نفوس البالغين، فلا تذهل عما هي مقبلة عليه بغيره." فقد وصل علماء النفس في العصر الحالي (Jenkins , Dollenboch) بعد نقدهم للتفسيرات القديمة التي ترى في أنّ النسيان راجع لزوال الآثار التي يتركها التعلم السابق نتيجة عدم الاستعمال. حيث يرى العالمان أنّ النسيان يحدث بسبب كثرة النشاط والانشغال بالأمور تؤدي إلى تداخل المعلومات، وسميت هذه الظاهرة بالتداخل الرجعي Rétroactive inférence أو الكف الرجعي Rétroactive inhibition . (محمد عثمان نجاتي،1996)

وفي حادثة معالجة ابن سينا لمريض (أحد امراء بني بويه) الذي امتنع عن الأكل و كان يتوهم أنّه بقرة دليل على اكتشاف سابق لعصرنا لاضطراب توهم المرض hypochandrie وسبل علاجه.

وقد عزا ابن سينا بعض حالات العقم إلى عدم التوافق النفسي بين الزوج والزوجة، وممن اهتموا بالبحث في الأمراض النفسية أبو البركات هبة الله ابن ملكا (ت 561هـ/ 1165م). وقد حاول جادًّا استحداث علاج لها، ونجح في ذلك إلى حدٍّ أدهش علماء الطب في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وصارت نظرياته في هذا الميدان متداولة بين أطباء العالم في زمانه.(راغب السرجاني، 2009)

وقد ألّف ابن قيم الجوزية عدة كتب منها " عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين"، " طريق الهجرتين وباب السعادتين"،" روضة المحبين ونزهة المشتاقين"،" الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي"، " رسالة في أمراض القلوب".

وهو مثل كثير من المفكرين المسلمين لا يرى أنّ مقومات النفس السوية والصحة النفسية في النجاح والتوافق النفسي والاجتماعي فقط، لكن تكمن في حب المسلم لربه، والتمسك بالصراط المستقيم، والايمان بغفرانه، والرضى بقدره. وقد تكلم ابن الجوزية في كتبه عن التوافق الاجتماعي والزواجي والذكاء والتعلم الاجتماعي عن طريق التقليد والنمذجة (Modling) وهو في ذلك يقول " احذروا فتنة العالم والعابد الجاهل فإنّ فتنتهما فتنة لكل مفتون، فإنّ الناس إنّما يقتدون بعلمائهم وعبادهم، فإذا كان العلماء فجرة والعباد جهلة عمت المصيبة بهما وعظمت الفتنة على الخاصة والعامة." (ابراهيم شوقي عبد الحميد، 1996)

و لعل الرازي في كتابه النفس والروح قد سبق نظرة فرويد للذّة، حينما جعل من اللذات العقلية أشرف وأسمى من اللذات الحسية وهو ما سماه فرويد بالتسامي أو الاعلاء Sublimation . وهو يرى في اللذة الحسية دفع للألم لا إلاّ. وأنّ التلذذ بها لا يـ ـصل إلاّ في أوّل زمن حدوثها. والاستمرار فيها يفقد الفرد الشعور بها والتلذذ بها ويؤدي للسأم . ويرى أنّ انشغال المسلم بهاته الملذات الحسية يمنعه من عبودية الله ويصده عن ذكره.

وأشار الرازي إلى أهميّة العامل النفسي في العلاج، وكان أوّل طبيب يتوصل إلى الأصول النفسية لالتهاب المفاصل الروماتيزمي، وقد فرّق بينه وبين مرض النقرس، وقرر أنّه مرض جسدي في ظاهره إلاّ أنّه ناشئ عن الاضـ ـرابات النفسية، وأنّ أكثر من تظهر عليهم هذه الأعراض من أولئك الذين يكظمون الغيظ، وبتراكمه يتعرضون لهزات نفسية كبيرة. بل إنّ الرازي رأى أنّ بعض أنواع سوء الهضم تنشأ عن أسباب نفسية، فقد يكون لسوء الهضم أسباب بخلاف رداءة الكبد والـ ـال، منها حال الهواء والاستـ ـمام ونقصان الشرب، وكثرة إخراج الدم والجماع والهموم النفسانية. وينبغي للـ ـبيب أن يوهم المريض بالصحة ويُرجّيه بها، وإن كان غير واثق بذلك، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس.(راغب السرجاني، 2009)

وقد كتب بعض الأطباء رسائل ومؤلفات في الصحة النفسية، فكتب ابن عمران كتابًا عن المالنخوليا، كما كتب ابن ميمون (ت 415هـ/ 1024م) رسالة سماها (الرسالة الأفضلية) تبـ ـث في الحالات النفسية المختلفة، كالغضب والسرور والحزن، وأثرها في الصحة، وأشار إلى أنّ علاجها يتم برياضة النفس وتقويتها. وتدل هذه الرسالة على أنّه قد أدرك فائدة تسخير قُوى النفس في علاج أمراض البدن.(راغب السرجاني، 2009)

أمّا أبو زيد البلخي فمن خلال كتابه " مصالح الأبدان والأنفس " فقد ربط بين النفس والجسد وأمراضهما وهذه مبادئ البسيكوسوماتيك الحديثة. وقام بمحاولة مبكرة لتصنيف الأمراض النفسية. (جمعة سيد يوسف،1996)

استطاع البلخي بحسه الاكلينيكي العبقري أن يفرق بين العصاب كمرض نفسي والذهان كمرض عقلي ولعله الرائد في ذلك. وقسّم الأمراض النفسية إلى أربعة أصناف الغضب والخوف والفزع ثم الحزن والجزع ورابعها الوسواس. وهي نفس التقسيمات الحالية من اضطراب القلق والفوبيا والاكتئاب والوسواس القهري. وهو أوّل من فرق بين الحزن أو الاكتئاب العصابي الخارجي أو الاستجابي والاكتئاب الذهاني أو الداخلي فيقول " أحدهما يكون معروف السبب كإنسان يعرض له الحزن من فقد محبوب من أهل أو مال أو شيء خاص الموقع منه، والآخر مجهول السبب وهو غمة يجدها الانسان على قلبه في عامة الأوقات تمنعه من النشاط واظهار السرور، وصدق الاستمتاع بشيء من اللذات والشهوات. من غير أن يعرف لهذا الفتور والانكسار اللذين يجدهما شيئا يخيل بهما عليه. فأمّا الحزن المجهول السبب فإنّه يرجع إلى الأعراض البدنية وتولده أنّما يكون من قلة صفاء الدم، وحيلة دفعه إمّا عن طريق العلاج الجسماني من الأغذية والأدوية، وإمّا عن طريق العلاج النفساني."

وهو رائد العلاج المعرفي السلوكي حينما يقول:" أنّما يحفظ صحة الأبدان بوجهين: أحدهما أن تصان من الأعراض الخارجة التي هي ورود ما يرد عليها من الأشياء التي يسمعها الإنسان أو يبصرها فتقلقه وتضجره... والآخر أن تصان من الأعراض الداخلة التي هي التفكير فيما يؤديه إلى شيء مما وصفناه من الأعراض فيشغل قلبه و يقلق ضميره." ولا يكتفي في علاجه بتصحيح الأفكار والتصورات بل يذهب بعيدا حينما يقدم النصح للأصحاء أن يخزنوا في عقولهم الوصايا الفكرية الصحية في حال سكينتهم وصحتهم النفسية ليستفيدوا منها إذا ألمت بهم بعض الأعراض النفسية وهذه الأفكار مستودعة في الذاكرة."

وهو الرائد في الاضطرابات النفسالجسدية فيقول " أنّه لما...كان الانسان مركب من بدن و نفس صار يوجد له من قبل كل منهما صلاح وفساد وصحة ومرض (لذلك) فإنّ إضافة مصالح الأنفس إلى تدبير مصالح الأبدان أمر صواب ...لاشتباك اسباب الأبدان بأسباب الأنفس." ويضيف " إنّ البدن إذا سقم منع قوى النفس من الفهم والمعرفة، كما أنّ النفس إذا اعتلّت منعت صاحبها من التلذذ بمتع الحياة، وربما أداه تحامل الآلام النفسية إلى الأمراض البدنية." (مالك البدري،2010)

وقد تناول العالم الإسلامي أبونصر الفارابي المتوفي سنة 339 هـ في كتابه "آراء أهل المدينة الفاضلة" فرع علم النفس الاجتماعي وذلك بتحديده أساساً فكريا للحياة الاجتماعية لكل من الفرد

والمجتمع. كما تناول أيضاً الحديث عن سمات الشخصية التي ينبغي أن يتصف بها زعيم الجماعة. كما تناول في كتابه الأسس النفسية لتماسك الجماعة. وهذا في الحقيقة جوهر علم النفس الاجتماعي المعاصر، أمّا ابن خلدون فقد كان من أوائل من تحدثوا عن علم النفس الفارق، فقد اهتم بالمقارنة بين تأثير حياة البداوة والحضارة في سمات الشخصية ومنها الشجاعة والخير والذكاء. كما كان لابن خلدون المتوفي سنة 803 هـ أيضاً آراء حول الصلة بين سمات الشخصية وبين احتمالات النجاح أو الفشل في مهنة معنية. وهذا أساس التوجيه المهني. وإذا ما انتقلنا إلى عالم إسلامي آخر وهو الإمام أبو حامد بن محمد الغزالي المتوفي سنة 505 هـ فإنّنا نستطيع القول إنّه هو الذي صور علم النفس عند المسلمين. فقد تناول العديد من الموضوعات النفسية منها الانفعالات النفسية مثل الخوف والغضب وآثارها في السلوك، كما تحدث عن العاطفة بنوعيها الحب والكره وعلاقتهما بالسلوك، لذلك تناول الدوافع الأولية والدوافع الثانوية المكتسبة أيضا تحدث عن الذاكرة والحواس والإدراك والخيال وغير ذلك من الموضوعات النفسية. (عبدالله بن ناصر الصبيحي، 2001)

كما قدم علماء الاسلام مساهمة كبيرة في ملامح نفس الطفل وعلم النفس النمو مثل ابن الجزار وابن البلدي وقاموا بتحديد الاضطرابات النفسية الخاصة بالأطفال ومعرفة اسبابها وكيفية علاجها. فقد كتب الرازي " رسالة في أمراض الأطفال والعناية بهم." (أسماء بوعود،2014)

ويشهد للمسلمين تأسيس أولى المستشفيات التي تهتم بالعلاج الجسدي وكذا النفسي وقد سميت بالبيمارستانات مثل بيمارستان النوري و أرغون الكاملي التي هي موجودة لحد الآن في سوريا. هذه انجازات السلف الصالح من علماء المسلمين في عصر النهضة الاسلامية فماذا عن أعمال علماء النفس من المسلمين في العصر الحالي و ما هي جهودهم من أجل التأصيل الاسلامي لعلم النفس؟

2- محتوى المقال :

لقد ورد لفظ النفس في القرآن الكريم مائتين وخمساً وتسعين مرة، ما بين المعرّف وغير المعرّف والمفرد والجمع. وقد ورد بمعانٍ مختلفة منها الروح ومنها بالمفهوم الحالي للنفس الإنسانية. فيقول تعالى: " وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاها (7) فَأَلْهمَها فُجُورَها وَتَقْوَاها (8) قَدْ أَفْلَح مَن زَكَّاها (9) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاها (10)" سورة الشمس و "لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا" الآية 233 من سورة البقرة " إِنَّ اللَّه لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ " الآية 11 من سورة الرعد.

وقد وردت بالقران الكريم أحوال كثيرة للنفس كالخوف والغضب والطمأنينة وغيرها وقد وصفت بالقلب احيانا. إنّ اتباع الوحي والهدي المحمدي من سنن وأحاديث والاستضاءة بأنوارهم واتباع السلف الصالح والعلماء وعدم الانصياغ للهوى والملذات الدنيوية في تقصي الحقائق هو عين الحق.

ويروى عن عيسى ابن مريم عليه السلام:" ربّ كلمة أحيت سامعها بعد الموت... ونبهته بعد الغفلة... وأيقظته بعد السّنة.(جواد حسن السرور في السيد عدنان الدرازي ،2000)

ومع شعور عدد من دارسي التأصيل بقصور الأطر المعرفية التي تنطلق منها العلوم الاجتماعية في الغرب عن الوفاء بحاجاتهم وتحقيق أهدافهم في التأصيل، اتجهوا إلى زعزعة هذه الأطر والمسلمات والبحث في نظرية المعرفة نفسها وكان التصور الذي يقودهم إلى هذا البحث هو هل نظرية المعرفة التي تستند إليها العلوم الوافدة من الغرب تتفق مع المفهوم الإسلامي لنظرية المعرفة؟

إنّ اسلامية المعرفة شعار جديد ظهر في حياتنا الفكرية منذ عدة سنوات وتشمل المعرفة جميع المعارف والعلوم الانسانية والطبيعية. وعلى ذلك فهذا المصطلح يتضمن اسلامية علم النفس باعتبار أنّ علم النفس أحد فروع العلوم الانسانية .

إنّ إعادة صياغة المعرفة على أساس علاقة الاسلام بها يعني أسلمتها أي إعادة تعريف المعلومات وتنسيقها وإعادة التفكير في المقدمات والنتائج المتصلة منها، وأن يقوم من جديد ما انتهى إليه من استنتاجات وأن يعاد تحديد الاهداف، على أن يتم كل ذلك بحيث يجعل تلك العلوم تثري التصور الاسلامي وتخدم قضية الاسلام.

جَرَت كثير من المحاولات لتأصيل هذا العلم الجديد وربطه بالتراث الإسلامي، فأوّل استخدام لمصطلح(علم النفس الإسلامي) كان من قبل محمد عثمان نجاتي في كتابه " الإدراك الحسي عند ابن سينا" و كان يقصد به التراث الاسلامي. و نتيجة لذلك انطلق تيار جديد من العلماء المسلمين اهتموا بأسلمة علم النفس. و قد استعملوا مصطلحات جديدة مقاربة لعلم النفس الاسلامي سنوجز أهمها:

1- علم النفس الاسلامي:

إنّ علم النفس الإسلامي ليس فرعاً من فروع علم النفس الديني، وموضوعه ليس فقط دراسة السلوك الديني عند المسلمين أو التراث النفسي في الحضارة الإسلامية، وليس مجرد تفسير الآيات والأحاديث التي لها علاقة بالنفس، ولا هو أيضاً رفض كل ما هو موجود في علم النفس المعاصر. إنّ علم النفس الإسلامي أو التأصيل الإسلامي عملية لا تعني إلغاء علم النفس أو العلوم الاجتماعية، وإنمّا تعني إعادة بنائها وفقاً للتصور الإسلامي، كما تعني أيضاً التزام الخلق الإسلامي في البحث وفي مسار العلم فلا يوجه وجهة تخالف الشريعة أو تضر بالمجتمع بأي وجه من الوجوه. وهذا القيد لا يقل في أهميته عن القيد الأول، وإذا كان القيد الأول يعني بالأصول النظرية للعلم فإنّ هذا يعنى بتطبيقات العلم. (عبدالله بن ناصر الصبيح، 2001)

وأوّل من استعمل المصطلح هو محمد عثمان نجاتي و قصد به " التراث النفسي عند علماء المسلمين" ثم غيره إلى " علم النفس القائم على أساس التصور الإسلامي للإنسان وعلى أساس مبادئ الاسلام وحقائق الشريعة الإسلامية." وقد عرّفه أحمد فؤاد الأهواني أنّه: " فرع علم النفس الذي يدرس السلوك الاسلامي." وهو بذلك أحد فروع علم النفس الديني مثله مثل علم النفس المسيحي أو علم النفس البوذي. وقد رفض هذا التعريف من قبل العديد من العلماء اللذين وجدوا فيه نظرة ضيقة للدراسة النفسية للسلوك الديني لدى المسلمين. (عبدالله بن ناصر الصبيح، 2001)

وتوالت الكتب في هذا العلم الحديث و منها كتاب " دراسات في علم النفس الاسلامي ' و الاسلام و علم النفس" لمحمود البستاني و " علم النفس الاسلامي" لمعروف فرزيق، و كتاب بعنوان" الدراسات النفسية عند المسلمين"، وآخر لحسن الشرقاوي بعنوان "نحو علم نفس اسلامي" ثم تبعهم مجموعة من الكتاب على غرار كل من: (عامر النجار، 1980) و (محمد ماهر محمود عمر، 1983) و (كمال مرسي، 1986) و (عدنان الشريف، 1987).

2- أسلمة علم النفس:

في منتصف السبعينات الميلادية ألقى الشيخ جعفر إدريس محاضرة باللغة الإنجليزية في مؤتمر العلماء الاجتماعيين المسلمين دعا فيها إلى أسلمة العلوم، فكان من أوائل من استعمل هذا المصطلح. أمّا الذي نشره فهو المعهد العالمي للفكر الإسلامي مع شيء من التطوير، حيث أصبح المصطلح أسلمة المعرفة بدلاً من العلوم. وقد عقد المعهد عدداً من المؤتمرات واللقاءات والندوات تحت هذا الشعار، من أهمها المؤتمر المعقود في كراتشي بباكستان تحت عنوان إسلامية المعرفة عام 1402هـ (عبدالله بن ناصر الصبيح، 2001)

فعرف إسماعيل الفاروقي[2] (1986م) الأسلمة بأنّها:

"إعادة صياغة المعرفة على أساس من علاقة الإسلام بها، أي إعادة تحديد وترتيب المعلومات، وإعادة النظر في استنتاجات هذه المعلومات وترابطها وإعادة تقويم النتائج، وإعادة تصور الأهداف، وأن يتم ذلك بطريقة تمكن من إغناء وحدة قضية الإسلام."(عماد عبد الله محمد الشريفين،2013)

مصطلح الأسلمة من أكثر المفاهيم التي اختلف العلماء في تحديد معناها، فمنهم من يتحدث عنها كأسلوب حديث من أساليب الدعوة الى الاسلام ونشره. ومنهم من يقصر الاسلمة على التأصيل الاسلامي للعلوم الاجتماعية والانسانية الغربية بأكملها. ومنهم من يعتبر الأسلمة مقصا كمقص

[2] صاحب كتاب ضخم ومرجع هام بعنوان " الأطلس للحضارة الإسلامية" ومع العلم أنّ الدكتور قتل بمعية زوجته نتاج دفاعهم الدائم عن اسلمة العلوم وعن القضية الفلسطينية . في امريكا سنة 1986

الرقابة على الافلام، ويقوم المؤسلم بمراجعة مقررات الجامعة فيقلع منها كل ما يعارض الاسلام في نظره.

ويرى البعض أنّ "اسلامية المعرفة قضية تعبر عن رسالة فكرية جليلة تمثل واحدة من السمات والثوابت الاصيلة في حضارتنا الاسلامية منذ ظهور الاسلام ".

و قد حدد جعفر إدريس (Idris 1987) حدد مفهوم أسلمة العلوم "بأنّه بناؤها على أصول الإسلام الثابتة والتقيد بالأخلاق الإسلامية في البحث."(عبدالله بن ناصر الصبيحي،1999)

و من بين الكتب التي نشرت عن أسلمة المعرفة نجد:

"اسلمة المعرفة وخطة العمل" لاسماعيل الفاروقي.

"اسلمة المعرفة العلوم الإنسانية ومناهجها من وجهة نظر إسلامية" لمحمد علي أبو ريان

"كتاب أسلمة المناهج والعلوم والقضايا والمصطلحات المعاصرة" تأليف أنور الجندي

"مدخل لإسلامية المعرفة" لعماد الدين خليل.

3-التوجيه الإسلامي لعلم النفس:

اقترح هذا المصطلح فؤاد أبو حطب أولاً في ندوة علم النفس والإسلام التي عقدت في جامعة الملك سعود في الرياض عام 1398هـ، ولكن لم يتلق بالقبول يومئذ، ثم اقترحه في ندوة التأصيل الإسلامي لعلم النفس التي عقدت في جامعة الإمام محمد بن سعود عام 1407هـ في الرياض أيضاً، فقبل. كما طرح الفكرة نفسها تقريباً باحثون آخرون في أوراق قدموها إلى الندوة نفسها. (عبدالله بن ناصر الصبيحي، 2001)

4-التأصيل الإسلامي لعلم النفس:

في عام 1987 عقدت ندوة تحت اسم "التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية" في مدينة الرياض في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، واعترض على المصطلح باعتبار أنّ تأصيل علم النفس هو البحث عن أصول شيء موجود، وهذا لا ينبغي، لأنّ الموجود من علم النفس يعارض الإسلام فلا يصلح بحث أصول له في الإسلام. ويرى المعترضون أنّه حتى لو سلمنا أنّ لا بأس في البحث عن أصول إسلامية لعلم النفس فهذا لا يكفي، إذ لابد من إيجاد بدائل وتصورات جديدة في علم النفس متفقة مع الإسلام، ولهذا فهم يرفضون المصطلح. ورغم أنّ ندوة جامعة الإمام عقدت تحت عنوان التأصيل الإسلامي إلاّ أنّ هذا الاسم انتقد واقترح بديلاً له (التوجيه الإسلامي لعلم النفس). وكان لهذا الاقتراح أثره حيث أصبحت هذه المادة تقدم في الجامعة المذكورة تحت هذا الاسم. وهذه الملاحظات لم تمنع بعض الباحثين ممن شاركوا في الندوة كإبراهيم رجب (1991؛1994) ومحمد

عثمان نجاتي (1990) وصالح الصنيع (1994) من استعمال هذا المصطلح فيما نشروه من بحوث وكتب بعد ذلك.

فعرفه نجاتي (1990) وإبراهيم رجب (1991) بتعريفين متقاربين، وهذا تعريف نجاتي:

"نقصد بالتأصيل الإسلامي لعلم النفس إقامة هذا العلم على أساس التصور الإسلامي للإنسان، وعلى أساس مبادئ الإسلام وحقائق الشريعة الإسلامية، بحيث تصبح موضوعات هذا العلم وما يتضمنه من مفاهيم ونظريات متفقة مع مبادئ الإسلام أو على الأقل غير متعارضة معها."

وعرّفت لجنة التأصيل الإسلامي(1987)في جامعة الإمام محمد بن سعود التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية بأنّه: "تأسيس تلك العلوم على ما يلائمها في الشريعة الإسلامية من أدلة نصية أو قواعد كلية أو الاجتهادات مبنية عليها، وبذلك تستمد العلوم الاجتماعية أسسها ومنطلقاتها من الشريعة ولا تتعارض في تحليلاتها ونتائجها مع الأحكام الشرعية، ولا يعني ذلك بطبيعة الحال أن تدخل العلوم الاجتماعية في إطار العلوم الشرعية وإنّما المهم ألاّ تتعارض معها ولا تتعارض عملية التأصيل بهذا المفهوم العام مع أي تقدم علمي وتطور منهجي لا يناقض المنهج الإسلامي على أساس أنّ الإسلام دعا إلى العلم وحثّ عليه". (عبدالله بن ناصر الصبيح، 2001)

ونعنى بالتأصيل الإسلامي لعلم النفس حسب الدكتور الصبيح "إعادة بناء علم النفس وفقا للتصور المعرفي الإسلامي.أي هو لا يعيد انتاج علم النفس بمعزل عن كل الخبرات والتصورات والنظريات التي قام عليها العلم، بل يحاول أن يجد صيغة لهذا العلم بحيث يصبح أكثر توافقا من الناحية المعرفية بثقافتنا الإسلامية. ويعيد تقييم النظريات الغربية حول الشخصية ومكوناتها" النفس والعقل والروح" بصيغة تتفق مع ما جاء ذكره في القرآن الكريم والسنة النبوية. أي "تصبح موضوعات هذا العلم وما يتضمنه من مفاهيم ونظريات متفقة مع مبادئ الإسلام أوعلى الأقل غير متعارضة معها "(عبدالله بن ناصر الصبيح،1999)

أمّا البحوث والكتب التي نشرت فهي كثيرة ولاسيما بعد عام (1979) فحسب دراسة نشرها محمد عبد الله الغامدي بلغت المنتجات البحثية لنقاش التأصيل قبل سنة (1979) حوالي (525) بحثاً، كان منها (70) عنواناً عن علم النفس، وفي قائمة بيبليوجرافية منتقاة لمحيي الدين عطية (1995) يظهر فيها أن ما نشر من بحوث وأطروحات ومقالات باللغة العربية عن تأصيل العلوم السلوكية قد بلغ (302) عنواناً، منها (64) عنواناً خاصاً بعلم النفس، وذلك في الفترة من (1979) إلى (1985). علم النفس الإسلامي، سؤال التأهيل لا سؤال التأصيل(سعد الحاد بن جخدل،2018)

ومن بين أشهر الكتب عن التأصيل:

- كتاب "التأصيل الاسلامي للعلوم الاجتماعية" للباحث ابراهيم عبد الرحمن رجب.

- كتاب "أساسيات التأصيل والتوجيه الاسلامي للعلوم والمعارف والفنون" لمقداد يالجن
- كتاب "التأصيل الاسلامي للعلوم الاجتماعية" لمحمد ق ب.
- كتاب دليل "التأصيل الاسلامي لعلم النفس" لمحمد الشناوي.
- كتاب "التأصيل الاسلامي للدراسات النفسية" لمحمد ق ب.
- كتاب "التأصيل الاسلامي للعلوم و الدراسات الاجتماعية" لزكي م مد اسماعيل.
- كتاب "المدخل إلى التأصيل الاسلامي" لصالح بن براهيم الصنيع
- كتاب "التأصيل الاسلامي للدراسات النفسية" لمحمد عز الدين التوفيق.

5- علم النفس الشخصية الاسلامية :

لقد ارتأ الدكتور جخدل من خلال دراسته ضرورة تخصيص مجال داخل الشبكة المعرفية لعلم النفس المعاصر لدراسة النفس الإسلامية، ضمن ما سماه بعلم النفس الشخصية الإسلامية، وهو أمر يقتضي أن تستخدم كل الأدوات الموضوعية والأساليب الإستقرائية لب ث الخصائص والقوانين التي تميّز الشخصية الإسلامية. وقد اعتمد تعريفا لهذا المجال الب ثي الذي جاء كمقترح تأهيلي: "علم نفس الشخصية الإسلامية هو الدراسة العلمية لمختلف الجوانب السلوكية والعقلية والانفعالية الوعيية منها ولا وعيية التي تميّز شخصية الفرد المسلم داخل سياقات المجتمع المسلم وضمن امتداداتها الإنسانية".وبهذا يركّز التعريف السابق على استثمار الآليات المعرفية للعلم النفس المعاصر في دراسة الشخصية الإسلامية، وذلك ضمن ثلاث أبعاد أساسية (فردي، مجتمعي، إنساني). (سعد الحاج بن جخدل،2018)

ومما يجدر التنويه إليه في هذا الصدد أيضاً المجهودات القيمة التي قامت بها بعض الهيئات العلمية، وبعض الأفراد في التأصيل الإسلامي لعلم النفس. فقد قامت جامعة الرياض (الملك سعود الآن) في عام 1978م بعقد ندوة عن"الإسلام وعلم النفس" قدمت فيها ب وث تدور حول العلاقة بين الإسلام وعلم النفس، وإسهام العلماء والمفكرين المسلمين في الت ور التاريخي لعلم النفس. واهتمت أيضاً المنظمة العالمية للـ ب الإسلامي بالكويت بعقد المؤتمرات حول الـ ب الإسلامي، وكان من بين الموضوعات التي اهتمت بها والتي تناولتها الب وث إسهام الأطباء وعلماء النفس المسلمين بالصحة النفسية والعلاج النفسي.(م مد عثمان نجاتي، 1990)

من المؤتمرات التي عقدت لهذا الغرض بالإضافة إلى المؤتمرات السنوية التي تعقدها بعض الجمعيات السابق ذكرها في الهامش السابق:

أ – ندوة "علم النفس والإسلام" عقدتها كلية التربية بجامعة الملك سعود في مدينة الرياض عام1978.

ب – ندوة "التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية" أقامتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض عام 1987.

ج – مؤتمر "التوجيه الإسلامي للعلوم" أقامته جامعة الأزهر بمصر مع رابطة الجامعات الإسلامية عام 1992. (عبدالله بن ناصر الصبيحي، 2001)

و كذلك "ملتقى الفكر الاسلامي" بجامعة سطيف بالجزائر سنة 1987 حيث دار حول الاسلام و العلوم الاجتماعية. و لعل الملتقى الوطني المقترح حاليا بجامعة الأغواط عن " أسلمة المعرفة" يعتبر إضافة بارزة لجهود المختصين و الباحثين الجزائريين في تأصيل حقل العلوم الاجتماعية و الانسانية.

من المؤسسات العلمية التي نشأت لهذا الغرض:

أ –جمعية علماء الاجتماعيات المسلمين أنشئت في أمريكا عام 1972، واعتنت بتوجيه علم النفس توجيهاً إسلامياً وأقامت عدداً من المؤتمرات لهذا الغرض، ولها مؤتمر سنوي ودورية فصلية.

ب –الجمعية الإسلامية العالمية للصحة النفسية أنشئت في منتصف القرن الخامس عشر تقريباً في عام 1983، ولهذه الجمعية نشرة شهرية بعنوان "النفس المطمئنة"، كما أنّ لها مؤتمراً عاماً كل سنتين، وقد عقدت مؤتمرها الأوّل في لاهور بباكستان عام 1985.

ج – المعهد العالمي للفكر الإسلامي أنشئ في أمريكا عام 1981 للعناية بأسلمة المعرفة والعلوم الإنسانية خاصة. ورفع المعهد شعار الأسلمة، وتبنته عقد عدد من المؤتمرات واللقاءات والندوات، من أهمها المؤتمر المعقود في كراتشي، باكستان تحت عنوان إسلامية المعرفة عام 1982.

والمعهد العالي العالمي للفكر والحضارة الإسلامية التابع للجامعة الإسلامية في ماليزيا أسس سنة 1987.

و الرابطة العالمية لعلماء النفس المسلمين التي أسست في ماليزيا كذلك سنة 1997 براسة الزبير بشير طه.

ويرى الصبيحي أنّ هذه الجهود استمرت بوتيرة أقل ما يقال عنها أنها غير منظّمة، وتفتقر للتنسيق والتشاور حيث أنتجت لنا كتلة ضخمة من الأدبيات لا يكاد كتاب فيها يشبه الآخر، لا في المنهج ولا في المحتوى ولا حتى في المصطلحات والتحدي الذي يواجه المعنيين بالتأصيل في المستقبل هو التحدي الذي يواجههم الآن، وهو زيادة العناية بتحديد مفهوم التأصيل في جانبيه النظري

والعملي. و كذا تحديد الأسس العلمية التي يجب أن يبنى عليها التأصيل، والضوابط الأخلاقية التي تضبط مسار العلم فلا يخرج عن نفع الإنسان إلى ضده. (عبدالله بن ناصر الصبيح، 2001)

إنّ بناء العلوم يقوم على التحديد الدقيق لمواضوعه ومجالاته ومنهجه والمسلمات التي يقوم عليها. ولذلك سنحاول من خلال بحثنا الاجابة على التساؤلات التالية : ما المنهج المتبع في التأصيل الاسلامي وما هي مسلماته وخطواته وما أهمية هاته الحركة وأساليبها؟

إنّ علم النفس، وجميع العلوم الإنسانية الأخرى، التي تدرس في جامعات البلاد الإسلامية، هي علوم غربية في فلسفتها ووجهتها، أسس نظرياتها علماء غربيون غير مسلمين على أساس نتائج بحوث ودراسات أجريت في مجتمعات غربية غير مسلمة، لها أساليبها الخاصة في الحياة والتفكير، ولها فلسفتها الخاصة في طبيعة الحياة، وفي طبيعة الإنسان ورسالته في الحياة وغايته منها، ولها معاييرها الخاصة في دور الدين في حياة الإنسان.

إنّ ثقافة المجتمع وقيمه، وفلسفته في الحياة، وتصوره للإنسان وللكون، ولرسالة الإنسان في الحياة وغايته منها، لا تؤثر فقط في توجيه الدراسات النفسية إلى اختيار موضوعات البحث، وإنّما تؤثر أيضاً في تفسيره لنتائج هذه الدراسات. ومن الضروري للقيام بالتأصيل الإسلامي لعلم النفس من إعادة النظر في مقررات علم النفس التي تدرس الآن في جامعاتنا الإسلامية، وإخضاعها للتحليل النقدي الدقيق لمعرفة مدى اتفاق واختلاف موضوعاتها، ومفاهيمها، ونظرياتها مع مبادئ الإسلام. فما كان منها مخالفاً أو معارضاً لمبادئ الإسلام، وجب تعديله وتغييره، أو حذفه. وما كان منها موافقاً لمبادئ الإسلام، أو غير متعارض معها، أبقينا عليه. ومن الضروري أيضاً أن نوجه البحوث الجديدة في علم النفس التي تجرى في مجتمعاتنا الإسلامية وجهة إسلامية، من حيث اختيار موضوعاتها داخل إطار التصور الإسلامي للإنسان، وداخل إطار التصور الإسلامي للدور الوظيفي للعلم في حياة الفرد والمجتمع. إنّ وظيفة العلم في وجهة النظر الإسلامية، هي الكشف عن آيات الله تعالى وسننه في الكون، وفي الإنسان، وفي جميع مخلوقات الله تعالى من أجل معرفة عظمة قدرة الله عز وجل في بديع خلقه، مما يثبت في قلوبنا الإيمان الصادق بألوهيته وربوبيته، ومن أجل الاستعانة بهذه المعرفة في عمارة الأرض التي استخلفنا الله تعالى فيها، والعمل على الرقي بالإنسان وبالمجتمع الإنساني إلى أعلى مراتب الحضارة الإنسانية، مما يكفل له الحياة الآمنة المطمئنة، وتحقق له السعادة في الدنيا والآخرة.(محمد عثمان نجاتي،1990)

إنّ قضية تأصيل علم النفس لن تكتمل إلاّ بوجود منهج تأصيلي واضح يمكن أن يسلكه الباحثون المؤصلون، ومنهج بحثي سليم يمكن أن يسلكه الباحثون المقبلون على إجراء الدراسات في

حال أستكملت عملية التأصيل، وبدون هذين المنهجين سيتحول خطاب التأصيل الإسلامي إلى مجرّد خطاب إنشائي وَعظي.

إنّ جولة في بحوث التأصيل تجعلنا نقع على حقيقة إجماع مؤصلي علم النفس على ضرورة أن ننطلق في منهج التأصيل من نقد الفكر السيكولوجي الغربي، باعتبار أنّ هذه الممارسة ستضعنا مباشرة في قلب إشكاليات الفكر السيكولوجي المعاصر، و في هذا السياق يرى محمد بن نصر أنّ هناك اعتراضا وجيها -على هذا المنهج- يتمثل في القول بأنّ الدخول في معركة فكرية دون امتلاك المعايير الفلسفية الإسلامية للنظر والفكر، سيجعل من كتاباتنا مجرد أوعية ناقلة لنتائج عملية النقد التي تتم في إطار وضعي دون توقف، بل يخشى البعض أن تتحول الأسلمة إلى مجرد إضفاء شيء من الشرعية على تلك الحرب الفكرية المعلنة على المعارف الغربية، بدون أن يكون لهذا الأمر افق واضح. (بن نصر محمد،2005)

فعملية التأصيل من الناحية الابستيمولوجية يجب أن تنطلق من جهد معرفي يروم بصاحبه الاطلاع الواسع على آليات تشكل الحقل المعرفي المراد تأصيله، ثم عملية الاستيعاب المنهجي للنموذج المعرفي الإسلامي ومنطلقاته ومقدماته، ثم توليد نموذج معرفي خاص بعلم النفس الإسلامي، وبهذا فعملية التأصيل يجب أن تنطلق من منهج علمي رصين، وليس كما يتصوره البعض مجرد عملية معرفية سطحية. (سعد الحاج بن جخدل،2018)

و قد انحصرت محاولات المشتغلين بالتأصيل لحد الآن في 3 طرق:

أ- التأويل أو الإسقاط:

وهو أن يفسر الباحث نصوص الوحي من خلال مفاهيم ونظريات نفسية حتى وإن كانت غير متفقة معها، فيؤول نصوص الوحي كي تتفق مع المفاهيم النفسية الحديثة. والأمثلة على هذا كثيرة، وأكتفي بواحد منها، وهو تشبيه عدد من الباحثين النفسيين (أنظر: الخويل، 1977م، وأبو العزائم، 1979، وإسماعيل، 1979، والسمالوطي، 1980هـ، ومرسي، 1982هـ) أحوال النفس (المطمئنة والأمارة واللوامة) التي وردت في القرآن بأقسام النفس الثلاثة (الهو والأنا والأنا الأعلى) في نظرية التحليل النفسي عند فرويد (1960).

إنّ هؤلاء الذين سلكوا منهج التأويل والإسقاط يعدون أحوال النفس السابقة أقساماً لها ثم يشبهون هذه الأقسام الثلاثة بأقسامها عند فرويد، فيشبهون الأمارة بالهو ويشبهون اللوامة بالأنا الأعلى. وهذا التشبيه منهم لا يتفق مع المفاهيم القرآنية، لأنّ الاطمئنان والأمر بالسوء واللوم على التقصير كلها أحوال لنفس واحدة، وهي أحوال تتعاقب ولا تتصارع، أمّا الهو والأنا والأنا الأعلى فهي عند فرويد كيانات ثلاثة تتصارع فيما بينها داخل جسد واحد. إنّ الإيمان في المفهوم القرآني يزيد

وينقص. وهو إذا زاد بلغ حال النفس المطمئنة وإذا نقص انحط إلى درجة النفس الأمارة. وهناك فرق آخر بين المفهومين وهو أنّ منشأ حالة الاطمئنان في المفهوم القرآني هو التدين، والدين عند فرويد نوع من العصاب الجماعي، أمّا ظاهرة التوازن النفسي عند فرويد فلا علاقة لها بالتدين إطلاقاً إذ هي قائمة على إشباع الحاجات. إنّ هؤلاء الباحثين الذين سلكوا منهج التأويل والإسقاط فأوّلوا الآيات القرآنية بما يتفق وما قرره فرويد في نظريته يظنون أنّهم بذلك ينصرون الإسلام ويسجلون سبقاً للقرآن، وهذا في الحقيقة ليس فيه ثناء على القرآن أو الإسلام بقدر ما فيه ثناء على فرويد وترويج لمدرسته من خلال تقديم مرتكز شرعي لها، وهذا لو كان صحيحاً لا غبار عليه، ولكن الأمر بخلاف ذلك. (عبد الله بن ناصر الصبيح،2001)

ب– التوظيف والاشتقاق:

وهو أن يحاول الباحث الجمع بين المفهوم الذي مصدره الوحي والمفهوم الذي مصدره علم النفس الحديث فيؤلف بينهما مشتقاً مفهوماً جديداً ثالثاً. وهذا لا غبار عليه بشرطين: أولهما أن لا يكون المفهوم الجديد معارضاً لحقيقة علمية سواء كانت شرعية أو غير شرعية، ذلك لأنّ الحقيقة واحدة كما سبق. أمّا معارضة نظرية نفسية فهذا مما يحتمل وهو أمر ممكن لأنّ النظرية غير الحقيقة وهي عرضة للقبول والرّد، وثانيهما أن لا يحتوي على تناقض داخلي، فالتناقض الداخلي في النظريات والمفاهيم النفسية سبب في رفض النظرية، ودليل على فشلها.

والأمثلة على هذه الطريقة غزيرة، ويحضر الباحث الآن مثال واحد فقط، وهو ربط مالك بدري (1992) بين ما ورد في القرآن من الحثّ على التفكّر في خلق السماوات والأرض وبين مفهوم "التأمل الارتقائي" (Transcendental Meditation)، فمن خلال جمعه بين هذه المفهومين حدد أربع مراحل يمر بها التفكير عند المسلم، والمفهوم الذي انتهى إليه لا يتعارض مع حقيقة علمية سواء كانت شرعية أو نفسية، كما أنه يتسم بالاتساق الداخلي. (عبد الله بن ناصر الصبيح،2001)

ج– التفسير بالحقائق العلمية مع اصطحاب التصور الإسلامي:

وهنا يصيب الباحث التصور الإسلامي ويعده أصلاً يسير في ضوئه ويعتمد عليه ولا يحيد عنه، ويحاول شرح المفاهيم التي مصدرها الوحي بما ثبت علمياً من خلال التجريب وليس بالنظريات. مثال ذلك كمن يشرح أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر الأطفال بالصلاة إذا بلغوا سبع سنين بما ثبت علمياً عن النمو الإدراكي عند الطفل. (عبد الله بن ناصر الصبيح،2001)

6-خطوات التأصيل الاسلامي و منهجه:

تحتاج عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس لخطوات حتى تصل لهدفها, وهي:

6-1- تأسيس الإطار المعرفي:

ويـ ـوي الصورة العامة التي تـ ـدد مسار النظرية والتـ ـبيقات المنبثقة منها.

6- 2- نقد علم النفس الغربي:

وهو من أهمّ عمليات التأصيل الإسلامي، ويجب أن يقوم على أسس من أهمها فهم التـ ـور التاريخي لعلم النفس الغربي، ومدى قدرة علم النفس على تفسير السلوك، ومدى وفاء علم النفس الغربي بخصائص المنهج العلمي، وتأثر كثير من المفاهيم النفسية بالبيئة الثقافية الغربية، وضوابط ما يقبل وما يرفض من علم النفس الغربي.(صالح بن ابراهيم الصنيع،2007)

إننّا في حاجة ماسة في هذه المرحلة إلى مراجعة كثير من المفاهيم السائدة في علم النفس، وتمشياً مع الاتجاه المادي الذي يغلب على دراسات علم النفس الحديث أيضاً، فإنّ علماء النفس الغربيين، حينما يتكلمون عن مؤشرات الصحة النفسية فإنهم يذكرون كثيراً من العوامل التي تتعلق بقدرة الفرد وفاعليته في القيام بشؤون حياته الواقعية، والشخصية، والاجتماعية، وإشباع حاجاته المادية الدنيوية ولكنهم لا يوجهون أي اهتمام إلى تأثير النواحي الروحية في سلوك الإنسان وصحته النفسية، ويغفلون تأثير الإيمان بالله تعالى في التخلص من القلق، وفي بث الشعور بالأمن والـ ـمأنينة في النفس. ولذلك، فنـ ـن في حاجة إلى إعادة النظر في مفهوم الشخصية السوية والصحة النفسية، وإعادة تعريفها تعريفاً إجرائياً يتفق مع تصورنا الإسلامي للإنسان.(مـ ـمد عثمان نجاتي،1980)

6-3- الدراسات النفسية للعلماء المسلمين السابقين:

بذلت عدة مـ ـاولات من قبل لدراسة ما خلفه العلماء المسلمون السابقون من دراسات نفسية، أذكر منها، على سبيل المثال، الكتب التالية: "الإدراك الحسي عند ابن سينا" لنجاتي، الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص لعبدالكريم العثمان، التعلّم عند برهان الإسلام الزرنوخي لسيد أحمد عثمان ....ونـ ـن لا زلنا في حاجة إلى مزيد من البـ ـث في هذا المجال لمعرفة الدراسات النفسية لكثير من المفكرين المسلمين السابقين مثل الكندي، والفارابي، وابن رشد، والغزالي، والرازي، وغيرهم.(مـ ـمد عثمان نجاتي،1990)

ويقول الباحث الدكتور صالح بن إبراهيم الصنيع إن التعامل مع هذا التراث لم يسر على منهجية معينة يمكن أن تؤدي للاستفادة المرجوة مما يـ ـويه، ولذا يقترح ثلاث مراحل للتعامل معه:

- مرحلة الإبراز: وفيها يتم التعريف بهذا التراث وتقييمه في شكل كتاب أو بـ ـث علمي مرموق.
- مرحلة التوظيف: وفي هذه المرحلة يبدأ الباحث في التعامل المباشر مع مـ ـتويات التراث من خلال تخصصه العلمي.
- مرحلة الإبداع: حيث يتوقع أن يكون النتاج الواعي المبدع لهذا التراث في صورة عصرية قريبة يسهل الاستفادة منها. (صالح بن إبراهيم الصنيع،2007)

4-6- بناء النظرية المؤصلة:

وهو قمة عملية التأصيل وثمرتها المنتظرة. و يقوم على إجراء البحوث النظرية و الميدانية من زاوية اسلامية:

أ-إجراء البحوث النظرية في علم النفس من وجهة نظر إسلامية:

لا تقتصر عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس على نقد موضوعاته ومفاهيمه بل يجب كذلك إثراء معرفتنا العلمية. بإجراء بحوث جديدة في كثير من المجتمعات الإسلامية من وجهة نظر إسلامية، تهدف إلى حلّ مشكلات الناس الهامة من أجل تحقيق حياة أفضل لهم. ومن الضروري أن يحدث نوع من التنسيق بين الباحثين في الجامعات الإسلامية المختلفة لتبادل المعلومات، ولتفادي التكرار، وللتعاون معاً في إجراء بحوث مشتركة.

ويمكن أن تتجه البحوث النظرية إلى القيام بنوعين من الدراسات النظرية. النوع الأول هو عبارة عن دراسات تعنى بتوضيح وجهة نظر الإسلام في بعض الموضوعات والمفاهيم النفسية ويمكن أن نذكر بعض الأمثلة لهذه الدراسة فيما يلي:

- التعريف الإجرائي لبعض المفاهيم النفسية من وجهة نظر إسلامية، مثل: الشخصية السوية، والصحة النفسية، والأحلام. ويجب أن نستعين في ذلك بما جاء في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف.
- وضع نموذج إسلامي للإرشاد النفسي والعلاج النفسي
- دراسة الشخصية من وجهة نظر إسلامية، ومراحل نموها، والعوامل المختلفة التي تؤثر فيها، وأسباب انحرافها ومرضها.
- تربية الأولاد في الإسلام.

والنوع الثاني من الدراسات النظرية يعنى ببحث الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين السابقين لمعرفة آرائهم وإسهاماتهم في كثير من موضوعات علم النفس، والمفاهيم التي استخدموها، ومحاولاتهم المختلفة للتوفيق بين آراء الفلاسفة اليونانيين في بعض موضوعات علم النفس ومبادئ الإسلام.

ب-إجراء البحوث الميدانية في علم النفس من وجهة نظر إسلامية:

يعنى بإجراء بحوث ميدانية وتجريبية تهدف إلى إيجاد حلول للمشكلات التي يعاني منها المسلمون في الوقت الحاضر. ويمكن أن نذكر هنا بعض الأمثلة كنماذج لهذه البحوث.

- العلاقة بين التدين والصحة النفسية.
- العلاقة بين التربية الدينية للأبناء في الأسرة المسلمة، وسمات شخصية الأبناء.

- العلاقة بين التربية الدينية للأبناء في الأسرة المسلمة، وصحة الأبناء النفسية.
- العلاقة بين مستوى التدين والمشكلات النفسية لدى الشباب المسلم.
- العلاقة بين مستوى التدين والكفاءة المهنية لدى الشباب المسلم. (محمد عثمان نجاتي، 1990)

6-5-إعادة كتابة علم النفس في إطار إسلامي:

بتقدم البحوث في علم النفس من وجهة نظر إسلامية، وبتراكم المعلومات الجديدة في هذا المجال، سوف يصبح من الممكن لعلماء النفس بالتدرّج إعادة كتابة كثير من موضوعات علم النفس في إطار إسلامي. وسوف يتمكنون في النهاية من تأليف كتب دراسية جديدة في علم النفس تتفق مع المبادئ الإسلامية، وهو الهدف الذي نرجو أن نصل إليه بمواصلة الجهد في عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس. (محمد عثمان نجاتي،1990)

6-6-عقد الندوات والمؤتمرات العلمية:

من الضروري أيضاً الاهتمام بعقد الندوات والمؤتمرات المحلية والدولية التي يدعى إليها علماء النفس، وعلماء الشريعة وأصول الفقه، من الجامعات الإسلامية المختلفة لمناقشة نتائج البحوث التي تمت في مجال التأصيل الإسلامي لعلم النفس، ولتبادل الآراء حول المنهج العام المتبع في عملية التأصيل الإسلامي، وما يعترض هذا العمل من صعوبات ومشكلات، والوسائل الممكنة للتغلب عليها. إنّ هذه الخطوة هامة جداً لتحقيق التنسيق بين الباحثين في البيئات العلمية المختلفة، ولتحقيق قدر ضروري من المعرفة المشتركة التي ينطلق منها البحث العلمي المستقبلي في هذا المجال.(محمد عثمان نجاتي،1990)

و قد أكدّت الدكتورة جميلة السقا على:

1- تحديد المسلمات الأساسية الاسلامية في دراسة النفس البشرية: وهي الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

2 - دراسة الخصائص الانسانية كما وردت في القرآن و السنة

3- وحدة مجال المعرفة و هي مستنبطة من العقل و الوحي.

4- مصادر المعلومات اليقينية في دراسة النفس البشرية هي القرآن و السنة النبوية. (جميلة بنت عبدالله حسن السقا،2001)

أمّا الفاروقي فقد اقترح الخطوات التالية التي لا تتنافى مع ما ذكر أنفا فيما يلي:

1-إعادة ترتيب المعلومات والمفاهيم في مختلف العلوم وفقاً للتصور الإسلامي، وهذا يعني أنّه لا يصح أن يبقى ضمن العلوم المراد أسلمتها معلومات ومفاهيم تخالف الإسلام.

2-إعادة النظر في جميع الاستنتاجات والتطبيقات التي بنيت على المعلومات المخالفة للإسلام، وإعادة النظر في النتائج.

3-إعادة النظر في أهداف تدريس العلوم، بحيث لا تتعارض الأهداف مع التصور الإسلامي، بل لا بد أن تكون وفقا للتصور الإسلامي. (عماد عبد الله محمد الشريفين،2013)

7-مهمة التأصيل الاسلامي لعلم النفس:

إنّ مهمة التأصيل الاسلامي تكمن في الجوانب التالية:

أ- الأسلمة لكشف الجوانب العلمانية في علم الغربي وتصوراتها الكفرية لطبيعة الانسان التي لا يسندها العلم التجريبي الحديث.

ب- أسلمة علم النفس لإظهار الاعجاز في خلق الله تعالى للإنسان من النواحي الجسمية والنفسية والروحية، ويكون ذلك دعوة للطلاب ليتفكروا في خلق الله فيزدادوا ايمانا.

ت- الأسلمة لإثبات حقيقة أنّه بدون تأصيل اسلامي قد تصطدم أغلب ممارسات علم النفس الغربي التطبيقي قليلة الفائدة، بل وفي بعض الاحيان عديمة الفائدة، أو حتى قد تحدث بعض الاضرار على العلماء المسلمين الاجئين للمتخصصين النفسانيين للعلاج أو الاستشارات.

ث- الاسلمة بإعادة كتابة تاريخ علم النفس من منظور اسلامي، حتى يتعرف الطلاب على اسهامات علماء النفس المسلمين ويكشفوا تزوير الغربيين الذين أهملوا اسهامات علماء المسلمين عن قصد وتعصب أو عن جهل.

ج- التلخيص لأهمّ الصفات التي يجب أن يتمتع بها من يريد أن يقوم بالتأصيل الاسلامي. (مالك البدري، 2010)

8-شروط الباحث المتصدر لعملية التأصيل الإسلامي:

هناك شروط متعلقة بالصفات الشخصية للباحث المتصدر لعملية التأصيل الإسلامي، ولعل أهمها الالتزام بالمنهج الإسلامي اعتقاداً وقولاً وعملاً، والتخلق بالخلق العلمي الإسلامي. أمّا الشروط المتعلقة بالعلم الشرعي فهي الإلمام بالقرآن الكريم وعلومه، والإلمام بالسنة النبوية وعلومها. والشروط المتعلقة بالتخصص فهي عدم استخدام نص تراثي في غير مكانه المناسب، وعدم تحميل النص التراثي ما لا يحتمل، والوعي بتأثير عاملي الزمان والمكان اللذين ظهر فيهما النص التراثي، والحرص على الرجوع إلى النسخ المحققة من كتب التراث. و يجب أن تكون له نظرة مستقبلية للتأصيل الإسلامي لعلم النفس تبنى على دراسة الواقع الحالي، ومن ثم معرفة المعوقات الموجودة وكيفية إيجاد حلول لها، وما العوامل المساعدة لتلك الحلول حتى تهيأ لها سبل النجاح.(صالح بن ابراهيم الصنيع،2007)

وعلى المتصدر للتأصيل الاسلامي التمكن من علم النفس الحديث تمكنا تاما. وعلى معرفة شاملة ودقيقة بموضوعات هذا العلم، وتطوره التاريخي، ومناهجه في البحث وإسهاماته ونتائجه ونظرياته، والمشكلات التي تجرى حولها البحوث في الوقت الحاضر، ولما كان علم النفس الحديث قد تشعب إلى فروع وتخصصات كثيرة، يصعب على عالم واحد أن يتمكن منها جميعًا تمكنًا دقيقًا، فقد أصبح من الضروري أن يشترك في التأصيل الإسلامي لعلم النفس فريق من علماء النفس المتخصصين في مجالات التخصص المختلفة من مختلف الجامعات الإسلامية.

وسوف تكون هناك صعوبات إدارية، وتنظيمية تتعلق بتنسيق مجهودات هؤلاء العلماء وتوجيهها في فريق بحث موحد المسار من حيث منهجه وأهدافه. ويبدو أنّ الحل الأمثل لهذه المشكلة هو أن تقوم هيئة علمية معينة، كإحدى الجامعات، أو أحد مراكز البحوث، بمهمة الإشراف على عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس، وتتولى عملية تنظيم الاتصال بعلماء النفس المهتمين بهذا الموضوع في جامعات البلاد الإسلامية، وتقوم بدعوتهم إلى الاشتراك في هذه المهمة، وتقوم بمكافأتهم على ذلك مكافأة مجزية. (محمد عثمان نجاتي، 1990)

9- مراحل عملية التأصيل الاسلامي لعلم النفس :

1- مرحلة جهود الأفراد: وهي البداية لحركة التأصيل الإسلامي لعلم النفس في الأربعينيات الميلادية.

2-جهود المؤسسات: ويمكن القول إنها بدأت في السبعينيات الميلادية.

3-تراجع جهود المؤسسات: من منتصف التسعينيات الميلادية, حيث تراجعت جهود المؤسسات في عقد ندوات أو مؤتمرات حول التأصيل. (صالح بن ابراهيم الصنيع،2007)

10-أهمّ الاشكاليات التي تواجه التأصيل الإسلامي لعلم النفس:

10-1-أشكالية المصطلح:

مما يلاحظ غياب الإجماع على قاموس علمي واضح، يمكن استخدامه في توحيد المفُهوم الخاص بهذا الحقل المعرفي، وتنطلق هذه المعضلة من المصطلح الرئيسي الذي يُفترض أنه يصف هذا المجال، ولا تتوقف حتى تصل الى تلك الحدود اللغوية الخاصة بالمفاهيم المكونة له.

ولم يكن من الغريب أيضا حسب عيسى جوهاري أن يترتب على هذه المشكلة الخاصة بتعدد المصطلحات الواصفة للمفهوم الرئيسي، تعدد وتداخل المصطلحات الواصفة للمفاهيم والمتغيرات الفرعية، حيث امتلأت الكتب بألفاظ اشتقاقية إجتهادية، استضرها أصحابها من النصوص الشرعية والكتابات التراثية، دون عناية كافية بدلالاتها الحقيقة، ولا بسياق ورودها، فظهر بذلك قاموس جديد تضمن عشرات المصطلحات على غرار (الفطرة، الروح؛ القرب من الله، التوكل على

الله؛ الصبر، التسليم بالقضاء والقدر، التقوى، جهاد النفس، النفس الأمارة، النفس اللوامة ..) وما إلى ذلك من مصطلحات جاء معظمها لتعزيز الجانب المتعلق بالصحة النفسية، مع غياب شبه تام للمفردات التي يمكن أن تشير إلى باقي فروع علم النفس الأخرى. (سعد الحاج بن جخدل، 2018)

ولعل أهمّ مصطلح تم التجني عليه من طرف أصحاب أطروحات علم النفس الإسلامي هو المصطلح الذي يفترض أنّه يصف موضوع هذا العلم في حد ذاته، ألا وهو (النفس (حيث اعتبروا – بشكل لا مُبَرّر- أنّ النفس التي ورد ذكرها في النص القرآني هي ذاتها النفس التي تُشكل موضوع علم النفس، وشيّدوا على هذا الاعتبار الخاطئ صروح تفسيراتهم السيكولوجية للآيات والنصوص التي تضمنت هذا المصطلح، مع أنّ معظم مفسري القرآن أشاروا إلى أنّ تعبير النفس في القرآن أكثر تمنّعًا وتجاوزا لمفهومه السلوكي، حتى إنّه وفي كثير من المواضع يُعبر عن الروح لا على ما دونها، كما في قوله تعالى(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي). (سعد الحاج بن جخدل، 2018)

10-2-إشكالية المذهبية والتأويل:

لقد وجدت الطائفية والمذهبية طريقهما إلى كل محاولات التأصيل الإسلامي التي شهدتها العلوم الاجتماعية، فقد تدوّلتا إلى جانب المعضلات العلمية السابقة إلى إحدى أهم المشكلات التي تواجه المشتغلين بتأصيل علم النفس إسلاميا، حيث لم يوضح هؤلاء المشتغلين الآليات الكفيلة بتجاوز هذه المشكلة، وذلك رغم فداحتها، بحيث أنّ المكوّن الطائفي كثيرا ما تسبب في خلق صراعات مذهبية لم تتوقف إلاّ بتكفير بعض المسلمين لبعضهم الآخر، وفي أحيان أخرى وصل الأمر حتى إلى سفك الدماء في سبيل الانتصار لهذه الطائفة وتلك، وهذا الأمر من شأنه أن يقف حجر عثرة في طريق محاولات تأصيل علم النفس، فعلى سبيل المثال لا الحصر، يعتقد أنّ أيّ استدعاء لأفكار أبي حامد الغزالي لإستثمارها في بناء جانب من علم النفس الإسلامي سيواجه بالرفض من طرف مفكري ومنتسبي المدرسة السلفية (الوهابية) الذين يرون في الغزالي مبتدعا لا يأخذ منه أي شيء، وفي المقابل إنّ أيّ استثمار لآراء ابن تيمية أو ابن القيم سيقابل كذلك بنكران شديد من كثير من منتسبي المدارس الصوفية، وسيتعقد الأمر أكثر باستحضار أراء علماء ومفكري الشيعة، وبهذا سنكون مضطرين إلى التعامل مع أكثر من صيغة سيكولوجية، وفي هذا السياق أشار أحمد شيخاوي إلى أنّ بعض المشتغلين في ميدان التأصيل الإسلامي لعلم النفس حاولوا أن يتجاوزوا هذه المعضلة بالإشارة إلى أنّ الجهد التأصيلي ينبغي أن يقتصر ويركّز على القرآن الكريم والسنة المطهرة، لكنهم في ذات الحين وبطريقة أو أخرى تغافلوا عن الإشارة إلى كيفية تجاوز مشكلة تأويل وتفسير النصوص

الشرعية، والتي تعتبر من أعقد المشكلات التي تواجه مفكري وعلماء الإسلام المعاصرين(سعد الحاج بن جخدل،2018)

3- خاتمة :

لعل الملاحظ لواقع المسلمين يدرك تعاظم الهجوم الشرس على الاسلام ومبادئه لدى شبابنا من خلال محاولة مسخ الفكر الاسلامي في المقررات الدراسية لأولادنا و من خلال اتباع علم نفس غربي مطبق على مجتمعات مختلفة تماما (و بالخصوص في الجزائر دون أي جهد لأسلمة علم النفس أو مقرراته المدرسة في الجامعة). لذلك فإنّنا ندعو من هذا المنبر إلى التركيز على التوجيه الاسلامي لعلم النفس في الأمة الإسلامية قاطبة و في الجزائر بالخصوص و ذلك باتباع وحي الله و سنة رسوله الكريم وما تركه لنا الصحابة والتابعون وعلماؤنا الأجلاّء الذين في كتبهم صفحات مضيئة ومنيرة تفوق ما قدّمه علماء النفس الغرب، و نترك ما يتعارض في هذا العلم مع قيمنا ويندس فيه من تضييع مقصود لهويتنا الاسلامية و زرع لبذور احتقار الذات المسلمة وخذلانها.

مقترحات:

يمكن أن نوجز بعض المقترحات المستوحاة من بعض من الدراسات السابقة فيما يلي:

- الدعوة الى تدقيق النَظر فيما هو موجود من بحوث سيكولوجية، وذلك بغية تطوير وتنمية عناصرها التي تتلائم وخصوصياتنا الثقافية، مع استبعاد تلك التي تخالف ثوابتنا الدينية، في ظل إلزامية تمتين هذه الجهود الترقيعية بإجراء بحوث جديدة تقوم على مبدأ التأصيل الإستشكالي من خلال إعادة الاعتبار للمشكلات السيكولوجية الحقيقية التي تواجه مجتمعاتنا، على أن تؤسس هذه البحوث الجديدة لمقاربة إسلامية تُضم إلى باقي مقاربات علم النفس المعاصر الهادفة الى تقديم الحلول للإنسانية جمعاء.
- ضرورة أن يُخصّص مجال خاص لدراسة شخصية الفرد المسلم باعتبارها موضوعا يملك مميزاته الخاصة، وأن يشمل دراسة الشخصية الإسلامية ضمن تفاعلاتها المجتمعية، وذلك تحت مسمى (علم نفس المجتمع الاسلامي.
- وضع كتاب جامع لقضايا التأصيل يلّم شتات الدراسات القائمة.
- استحداث مقرر التأصيل الاسلامي لعلم النفس في كل الجامعات العربية.

المراجع:

-ابراهيم شوقي عبد الحميد،(1996)، علم النفس في التراث الاسلامي، مكتبة المعهد العالمي للفكر الاسلامي، القاهرة.

-أسماء بوعود،(2014)، الاضطرابات النفسية بين السيكولوجيا الحديثة و المنظور الاسلامي، اصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية.

-الصادق المهدي،(1990)،المنهجية الاسلامية و العلوم السلوكية و التربوية، :بحوث ومناقشات المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي / تنظيم المعهد العالمي للفكر الاسلامي، بالاشتراك مع جامعة الخرطوم .

-بن نصر محمد، (2005)، تأصيل العلوم الاجتماعية والإنسانية، أما آن لهذه الازدواجية أن تنتهي؟ مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد 42، ص .120-119.

جمعة سيد يوسف،(1996)،البلخي(322ه) مصالح الأبدان و الأنفس، مكتبة المعهد العالمي للفكر الاسلامي، القاهرة.

-جميلة بنت عبدالله حسن السقا، (2001)،التأصيل الإسلامي لعلم النفس في ضوء توجيهات القرآن الكريم و السنة النبوية المطهرة، رسالة دكتورا، جامعة أم القرى، السعودية.

-جواد حسن السرور في السيد عدنان الدرازي ،(2000)، من مفاهيم القرآن في السلوك الفردي و الاجتماعي ، دار الهادي، ط 1 بيروت.

- راغب السرجاني،(2009)، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، مؤسسة أقراء للنشر و التوزيع و الترجمة، ط1، القاهرة.

- سعد الحاج بن جخدل،2018 ، علم النفس الإسلامي؛ سؤال التأهيل لا سؤال التأصيل، مجلة جيل العلوم الانسانية والاجتماعية العدد 39 الصفحة -115-95.

- طه جابر العلواني،(1990)، المنهجية الاسلامية و العلوم السلوكية و التربوية، سلسلة المنهجية الاسلامية2 ، المعهد العالمي للفكر الاسلامي ، مكتبة الكونغرس، امريكا.

- عبدالله بن ناصر الصبيح،(1999)، رؤية في التأصيل الاسلامي لعلم النفس، دار كنوز اشبيليا للنشر و التوزيع، ط1

-عبدالله بن ناصر الصبيح،2001، لتأصيل الإسلامي لعلم النفس، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد 22، ص469-506

-عماد عبد الله محمد الشريفين،(2013)، أسلمة العلوم النفسية و الاجتماعية عند الفاروقي، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد 21، العدد 1، ص445– ص 484.

-فؤاد أبو حطب، (1993)، مشكلات علم النفس في العالم الثالث: حالة الوطن العربي، في علم النفس و قضايا المجتمع المعاصر(ص 9-21). الرباط: جامعة محمد الخامس.

-فؤاد أبو حطب، (1993)، نحو وجهة إسلامية لعلم النفس، أبحاث ندوة علم النفس،المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص 129 -241، القاهرة.

-مالك البدري،(2010)، مختصر التأصيل الاسلامي لعلم النفس، الجامعة العالمية الاسلامية.

-مالك البدري،(2010)، كيف السبيل إلى أسلمة مقررات علم النفس الجامعي، مجلة اتحاد جامعات العالم الاسلامي، العدد 8 .

- محمد عثمان نجاتي، (1990)، منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس، مجلة المسلم المعاصر، العدد57، ص21 – 45.

- محمد عثمان نجاتي،(1980)، الإدراك الحسي عند ابن سينا، بحث في علم النفس عند العرب، ط 3، دار الشروق، بيروت .

- محمد عثمان نجاتي،(1996)، علم النفس في التراث الاسلامي، مكتبة المعهد العالمي للفكر الاسلامي، القاهرة.

- محمود محمد،(2017)،مجهودات مالد البدري في اسلمة علم النفس،https://islamonline.net/22641 اطلع عليه يوم 2019/01/31

-مصطفى محمود،(1998)، علم نفس قراني جديد، دار أخبار اليوم، القاهرة.